الباب الخامس

أبحاثٌ في التصوف

١- أولياء الله.

٢- كرامات الأولياء.

٣- التوسل.

أولاً- أولياء الله

- الولاية علاقة متبادلة بين العبد وربه، فهناك ولاية العبد لربه بأن يحب العبد ربه، فيسعى إلى رضاه وطاعته وتنفيذ أوامره، وتحقيق شرعه، وولاية الله لعبده بنصرته وحفظه ومساعدته وهدايته وإرشاده، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾﴾[1].

- فقد اعتاد الناسُ في كثيرٍ من أمورِ حياتِهم أن يعتمدوا على أولياءِ أمورِهِمْ، فلكلِّ إنسانٍ وليٌّ يديرُ أمورَه ويتدبرُ أحوالَه من أبٍ أو أمٍّ أو أخٍ أو عمٍّ أو خال.

- لكن باستطاعةِ المؤمنِ أن يتخذَ ولياً أكملَ وأفضلَ وأَقْدَرَ وأقوى وأعلمَ من كلِّ ولي يعتمدُ عليه لا في أمورِ الدنيا فحسبُ بل في جميعِ أمورِ دنياه ودينِه وآخرته، ضامناً لنتائجِ اعتمادِه عليه الفوزَ والنجاحَ والتوفيقَ والحفظَ، إنه الله، اللهُ سبحانَهُ الذي ارتضى أن يكونَ ولياً لمن أرادَ، قال الله تعالى على لسان نبيه يوسف عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾﴾[2].

- فما أحرانا أن نوالِيَ اللهَ ونحن في أشدِّ الحاجةِ إلى وِلايتِه، أمامَ هذا الضعفِ الذي نعانيه، والفقرِ الذي نشكو منه، والأمراضِ التي أَلَمَّتْ بنا،والمصائبِ التي تواجهُنا، والفُرْقةِ التي تُمَزِّقُنا، وتكالُبِ العدوِّ الذي يهدِّدُنا، والإحاطة التي أحطنا بها، والتهديد الذي يوجه إلينا.

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٢) سورة يوسف: ١٠١.

- وإذا أرادَ المسلمُ وِلايةَ اللهِ، عليه أن يوالِيَ اللهَ، حتى يوالِيَهُ اللهُ، وهـذا يتطلَّبُ من العبدِ أن يلتزمَ طاعةَ اللهِ، فيتولَّى اللهُ حِفظَهُ ورِعايَتَهُ، قال تعالى: ﴿وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾[1].

- ومفهومُ الوليِّ عندَ كثيرٍ من الناس مفهومٌ خاطئٌ فمنهم مَنْ يَعُدُّ أن بعضَ المجذوبين البُسطاءَ المهملين لشأنِهم وثيابِهم هُمْ أولياءُ اللهِ.

- ومنهم مَنْ يَعُدُّ الذي يدّعي أنه يطيرُ في السماءِ ويمشي على الماءِ هو وليٌّ من أولياءِ اللهِ، ولو خالفَ أوامرَ اللهِ وكان عاصياً.

- وقد اتفقَ العلماءُ على أن الرجلَ لو طارَ في الهواءِ، أو مشى على الماءِ، لا يُغترُّ به حتى يُنْظَرَ إلى متابَعتِه لكتابِ اللهِ وسُنةِ نبيِّه.

- هذا ومن جهةٍ ثانيةٍ فإن الولايةَ أيضاً لا تختصُّ بالعلماءِ والمربين والدعاةِ وأهلِ الذكرِ والعِرْفان، وإنما أولياءُ اللهِ هم الذين عَرَّفَ بهم القرآنُ في قولِه تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦٢ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ۝٦٣﴾[2].

- فللولايةِ إذن صفتان: الإيمانُ والتقوى، فكلُّ مسلمٍ آمنَ إيماناً حقيقياً، واتقى اللهَ حقَّ تقاتِه، كان ولياً للهِ ﷻ، قال الله تعالى مؤكداً ذلك:

﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٨﴾[3].

- وقال سبحانه وتعالى أيضاً: ﴿إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾[4].

---

(١) سورة الأعراف: ١٩٦.

(٢) سورة يونس: ٦٢-٦٤.

(٣) سورة آل عمران: ٦٨.

(٤) سورة الأنفال: ٣٤.

- وروي عن النبيِّ ﷺ أنه جمع قريشاً فقالَ لهم: «إنَّ أوليائي منكم المتقون»[1].

- إذاً كلُّ مسلمٍ يصبحَ ولياً لله ﷻ إن كان إيمانُهُ يقينياً وكانت تقواه حقيقة.

- ومن تَحقَّقَتْ فيه هذه الولايةُ، تولّاه اللهُ بالعنايةِ والحفظِ والرعايةِ والبشرى في الدنيا وفي الآخرةِ وتحقَّقَ له الفوزُ العظيمُ كما قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾[2].

- هذا وإن الله ﷻ يغار على أوليائه، فيحفظهم، ويحارب كل من عاداهم، يبين النبي ﷺ ذلك في قوله: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ مَنْ عَادَى لِي وَلِيّاً فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، -ثم بين الله ﷻ كيف يصل المسلم إلى هذه الولاية فقال: - وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطُشُ بِهَا وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، -عند ذلك يستجيب الله لدعاء هذا الولي ويحقق آماله- وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ»[3].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن عبيد بن رفاعة، عن أبيه، عن جده.

(٢) سورة يونس: ٦٢-٦٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن أبي هريرة ﷺ.

- هذا من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى فالولاية لا تعني أبداً ضَعْفاً واستكانةً وفقراً وذُلاً وبُعْداً عن الدنيا وما فيها.

- بل الولايَةُ أنْ تَستمدَّ من اللهِ التأييدَ والفوزَ والحِفظَ، فهي تعني القوةَ والعِزةَ والغنى، والنصرَ المبينَ، والفوزَ العظيم.

- عندما يكون المؤمن موالياً لله فهو يملكُ عِزَّ الدنيا والآخرةِ وعزَّ النجاحِ والفرحِ، عزَّ القوةِ والنصرِ، وعزَّ الرفعةِ والسؤْدُدِ، فهو قويٌّ بالله، منتصرٌ بالله، موفقٌ بتوفيقِ الله، محفوظٌ بأمرِ اللهِ، وعند ذلك لاخوفٌ عليك ولا حَزَنٌ بل سرورٌ وفوزٌ ونجاحٌ وانشراحٌ.

- لا خوف عليك من أن يلحقك مكروه، ولا حزن من فوات مطلوب، فلا تخاف من مستقبل لا تعرفه، ولا تحزن من حاضر يمتحنك الله به، بل أنت راضٍ بأمر الله، مطمئن لعطاء الله، لأنك واليت الله، فوالاك الله.

- ولايةُ اللهِ لإبراهيمَ الخليلِ عليه السلام جعلت النارَ لا تُحرقه بل كانت: ﴿بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾[1].

- وولايةُ اللهِ لموسى عليه السلام جعلَت البحرَ لايُغْرقُهُ ومَنْ معَهُ:

﴿قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾[2].

- وولايةُ اللهِ لسيدنا محمدٍ ﷺ جعلَتْهُ يقولُ لصاحبِهِ وهو في الغارِ محاصَرٌ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾[3] فنزل الأمنُ والفتحُ والسكينةُ والنصرُ والحِفْظُ.

---

(١) سورة الأنبياء: ٦٩.

(٢) سورة الشعراء: ٦٢.

(٣)سورة التوبة: ٤٠.

- الولايةُ حفِظَتِ الأنبياءَ والرُسُلَ، والولايةُ حَفِظَتِ الصحابةَ والتابعين، والولايةُ حَفِظَتِ المؤمنين المتقين في كلِّ وقتٍ وحين.

- والوِلاية اليومَ تَحفظُ كلَّ مَنْ طلبها وسعى إليها وتقدَّمَ نحوَها وعَمِلَ بأركانها.

- الصحابةُ كلُّهم ﷺ كانوا أولياءَ لله فأعزَّهم اللهُ ونصَرهم وأجرى الفتوحاتِ على أيديهم وانتشرَ الدينُ بدعوتهم.

- التابعون كلُّهم كانوا أولياءَ لله فَدَوَّنُوا العلومَ الإسلامية المختلفةَ، ونشروها في البلادِ، وتابعوا الفتوحاتِ الإسلاميةَ وانتشروا دعاةً معلِّمينَ وهادين مهدِيين.

- وأولياءُ الله في كلِّ زمان يحملون رايةَ الإسلامِ ويدافعون عنه في كلِّ مكان.

- ومقابلَ ولايةِ المسلمِ لله، فإنَّ الله ﷻ يتولاه في كلِّ شؤونِه في دينه ودنياهُ وآخرتِه، فلا خوفٌ على هؤلاء الأولياءِ ولا هم يحزنون بل ويحقِّقُ اللهُ آمالَهم ويدفعُ عنهم آلامَهم ويستجيبُ دعاءَهم، فلهم البشرى في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ ولهم الفوزُ العظيمُ.

- فإن افتقروا فاللهُ وَلِيُّهُمْ فبه يَغْنَوْن، وإن ضَعُفُوا فالله وليُّهم فبه يَقْوَوْن، وإن مرِضُوا فاللهُ وليُّهم فبه يُشْفَوْن، وإن ضاقت عليهم الدنيا بما رَحُبَتْ فاللهُ وليهم فبه يزولُ ضَعْفُهُم، وبه تُفْرَجُ كروبُهم وبه تزولُ آلامهم.

- وإن طلبوا شيئاً فالله وليُّهم يحقِّقُ لهم مطالبَهُمْ، ويستجيبُ دعاءهم ويحقِّقُ لهم رغباتِهم، ويحفظُهم في دينِهم ودنياهم وآخرتِهم.

– وبما أن مقام الولاية مقام عظيم ومن الواجب أن يسعى كل مؤمن أن يصل إليه، فإن أهل التصوف ورجالاته هم من أولياء الله وأحبابه، يبغون بتربيتهم وتوجيههم وسلوكهم نقل المريد إلى هذا المقام مقام الولاية ليصبح ولياً لله، وهذا من أوائل اهتمامهم وسعيهم لإيصال مريديهم إلى هذا المقام الإيماني العالي الذي وصل إليه الصحابة بتزكية رسول الله ﷺ نفوسهم، وسعى الصحابة لإيصال التابعين إلى هذا المقام، ويتتابع العمل بهذه الطريقة إلى يوم الدين.

– ولو تتبعنا أخبار أولياء الله الذين والوا الله ووالاهم الله لوجدنا العجب العجاب من مظاهر عناية الله بهم، وتأييدهم، وتحقيق آمالهم في الدنيا قبل الآخرة، والآخرة خير وأبقى.

– (يروي اللواءُ الدكتور محمود شيت خطاب وهو من العراق: قصةً واقعية حقيقيةً جرت معه ملخصُها أن صديقاً له عنده زوجةٌ مؤمنةٌ تقيةٌ أي: هي من أولياء الله اشتدَّ عليها المرضُ كثيراً فرأتْ في نومها أن شيخين صالحين أتياها فقالَ الأولُ لها: يا ابنتي لقد تعبت كثيراً وأمضَّكِ الألَمُ، وأنت بحاجة إلى الراحة الطويلة في مستَقرٍّ مُريحٍ فتعالَيْ واستقري هنا وأشار إلى مكانٍ يجاور مكانَهُ الذي هو فيه لتستريحي ولن تعاودَكِ الآلامُ في هذا المكانِ أبداً.

وقال الثاني: يا ابنتي سأكونُ في عَونِكِ حين تكونين بحاجة إلى العَوْنِ ولن أنساك أبداً، فلما سألْتُهما عن اسميهما قال الأول: أنا الشيخُ عبدُ القادرِ الجيلاني، وقال الثاني: أنا أبو أيوبَ الأنصاريُّ.

– يقولُ صاحب القصة فسألتني عن تفسيرِ هذا المنامِ فقلتُ لها خيراً إن شاء الله واستقر في نفسي أنها ستَرْحَلُ إلى العَالَمِ الآخَرِ فتستريحُ الراحةَ الأبديةَ، ولكني لم أستطع أن أبوحَ لها بذلك، ولكن الذي حيرني في منامِها ما علاقةُ الشيخين بها وبموتها.

- وبعدَ مدةٍ وجيزةٍ ماتتْ هذه الوليةُ وأسرَعْتُ إلى زوجِها لتقديمِ المساعدةِ له فوجدتُه في حَيْرَةٍ من أمرِه وعلمتُ أن سببَ حَيْرَتِه أنها وصَّت أن تُدْفَنَ في مقبرةِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ وطلَبَ الزوجُ مني أن أسعى في تحقيقِ أمنيتِها لما يعرفُهُ من مكاني ومعارفي، وتوكَّلْتُ على الله وقمتُ باتصالاتي مع معرفتي صعوبةَ هذا الأمرِ فكم من شخصياتٍ كبيرةٍ جداً لم يُسمح لهم بالدفنِ في تلك المقبرةِ ولكن المُيسِّرُ يَسَّرَ الأمرَ فقد هُيئ قبلَ أيامٍ قبرٌ بجانبِ قبرِ الشيخِ عبدِ القادرِ الجيلانيِّ، وسُمِحَ لنا باستخدامه، وصلينا المغرب في حرم مسجد عبدِ القادرِ الجيلانيِّ، وحينَ قُضيتِ الصلاةُ نادى الإمامُ يدعو المصلينَ إلى الصلاةِ على المرأةِ المسلمةِ وأنا أفكِّر في منامِها فقد حقَّقَ اللهُ رؤياها في دعوةِ الشيخِ عبدِ القادر لتكونَ إلى جانبه فأين مكانُ أبي أيوبَ الأنصاريِّ في رؤياها وفجأةً وقفَتْ سيارتان كبيرتان، تحملُ كلٌّ واحدةٍ منهما ثلاثينَ حاجاً من الأتراكِ، ترجَّلُوا مسرعينَ ودخلوا بابَ المسجدِ مُهَرْولينَ باتجاه حَرَمِ المسجدِ، ووجدوا أمامَهم صفاً يريدُ الصلاةَ على المرحومةِ فانضموا إلى ذلك الصفِ وشاركوا في الصلاة.

- وبعد أن قُضيتِ الصلاةُ التفتوا يسألونَ عن المرأةِ وكان زوجُها يتكلَّمُ التركيةَ فسلموا عليه وقالَ إمامُهم: أنا إمامُ مسجدِ أبي أيوبَ الأنصاريِّ وهذا خَطِيبُه وهؤلاءِ من المصلين في مسجدِه هنالكَ وجدت الجواب وسارع إلى شفتي قولُ اللهِ ﷻ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾[1])[2].

(١) سورة يونس: ٦٢

(٢) محمود شيت خطاب: تدابير القدر.

- (تاجر مشهور في هذا البلد كانت يداه طويلتين في أعمال الخير والبر، ومساعدة الفقراء والمحتاجين وتَدْيينِ المعوزين والغارمين.

- خسرت تجارته، وأدت به إلى الإفلاس النهائي، مما اضطره إلى بيع كل ما يملك حتى منزله الذي يقطنه لإيفاء حقوق الآخرين عليه وحفظ سمعته وشرفه، ولم يجد بيتاً يسكن فيه إلا مستودعاً صغيراً في قبو عمارة قديمة في حيٍ قديم قدمه له أحدُ أصدقائه من التجار.

- صبر هو وعائلته المؤمنة على قضاء الله تعالى وقدره وبلائه وامتحانه سنةً كاملة، كانت الأسرة خلالها تعيش عيشة فقر لم تتعود عليها سابقاً أبدا، ولكنها كانت أسرة مؤمنة صادقة صابرة شاكرة حامدة.

- كما كانت لا تترك صلاة التهجد وتتطيل السجود في الليل وكان التاجر يناجي ربه، يارب: أنت العليم بحالي، فلا تخيب رجائي.

- يارب: ماررددت يوماً سائلاً، وما طالبت مديوناً وكنت دائماً في عون عبادك، والتيسير على المعسر منهم، وها أنا اليوم على بابك كما عهدتني، محتاج إليك وأنت وعدت بعونك من أعان عبادك، وبتيسيرك أمور من يسرَ عليهم وبتنفيس الكربة عمن نفس كُرب المكروبين.

يا مَنْ يجيبُ دُعا المضطر في الظُّلَمِ
يا كاشفَ الضُّرِ والبلوى مع السقمِ

- كان هذا التاجر يناجي ربه باكياً ولم يكن أحدٌ يسمعه سوى الله الذي لا يغيب ولا ينام وهو السميع البصير وهو على كلِ شيء قدير.

- ارتفعت برقية هذا التاجر إلى الله ﷻ، فأصدر الله أمره بإسعاد هذا التاجر المؤمن الصادق وإنهاء محننته ومصيبته.

– **والسؤال** كيف كان الجوابُ العمليُ لذلك، رأى الشيخ أحمد الحارون في منامه النبي ﷺ وهو يكلفه بتحقيق ما أمر الله به لهذا التاجر وهو شراء بيتٍ له على أن يكون واسعاً ممتلئاً بكل حاجاته وفي أجملِ حيّ من بقاع دمشق، وقد أعلم النبيُ ﷺ الشيخ باسم التاجر ومكانه. استيقظ الشيخ أحمد الحارون واستعاد المنام في ذهنه ولكنه وقف حائراً كيف يشتري لهذا التاجر البيت المطلوب وهو لا يملك المال لشرائه، وما إن انتهى من استعراض أفكاره حتى سمع قرع الباب، ففتح الباب، وإذا بأحد تُجار هذا البلدِ الكبار يقدم له مبلغاً كبيراً من المال وقال له تصرف بما أمرك به النبي ﷺأسرع الشيخ إلى مكان التاجر وأخذ بيده باحثاً عمّا يحقق أمر الله واشترى له البيت المطلوب وانتقلت العائلة شاكرةً حامدةً .

– ما أعظم المؤمن عندما يكون مع الله مُطبِّقاً لشرعه!.وما أعظمَ لُطف الله بعباده!)[1].

– احفظِ اللهَ يحفظْكَ هو أولُ شعاراتِ الوِلايةِ للهِ.

– (رابعةُ العدويةُ وقفَتْ ليلةً تُصَلّي فدخلَ عليها لِصٌّ وجمعَ محتوياتِ بيتِها وأرادَ أن يخرجَ من دارِها فلم يجدِ البابَ فوضعَ المتاع فرأى البابَ ثم أخذَ المتاعَ ليخرجَ فحُجِبَ عنه البابُ فتعجَّبَ من ذلك فَسَمِعَ نداءً يقول:

حَفِظْتَنا فحفِظْناها، وانشغلَتْ بنا فلا ننشغِلُ عنها، دعِ المتاعَ ترَ البابَ فتركَ المتاعَ وتابَ إلى الله ﷻ، هذه هي الوِلاية وهذا حفظُ اللهِ)[2].

(١) محمد خالد رنكوسي: من أعلام الإحسان ص٣٣.

(٢) انظر: محمد عطية حميس المحامي: رابعة العدوية.

ثانياً- كرامات الأولياء

- (الكرامة هي: أمر خارق للعادة، غير مقرون بالتحدي، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم بمتابعة النبي ﷺ مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح، أما المعجزة، فتكون من الأنبياء وهي مقرونة بالتحدي)[1].

- أجرى الله ﷻ على أيدي الأنبياء والمرسلين معجزات خارقة للعادة، وهي إخراج الشيء من العدم إلى الوجود، والمعجزات لا تكون إلا للأنبياء.

- كذلك يجري الله ﷻ للأولياء كرامات: (بإجابة دعوة، وتمام حال، وقوة على فعل، وكفاية مؤونة، يقوم لهم الحق بها، وهي مما يخرج عن العادات)[2].

- (ومن الفروق بين المعجزات والكرامات ما قاله الإمام أبو بكر بن فورك[3]: أن الأنبياء عليهم السلام مأمورون بإظهارها والولي يجب عليه سترها وإخفاؤها، والنبي ﷺ يدعي ذلك، ويقطع القول به، والولي لا يدعيها، ولا يقطع بكرامتها لجواز أن يكون ذلك مكراً)[4].

- (والكرامة لا تكون إلا لولي، والولي هو صاحب العقيدة الصحيحة المواظب على العمل الصالح، والمتابعة للنبي ﷺ، وأما ما يجري على أيدي

---

(١) السفاريني: لوامع الأنوار البهية، جزء٢ ص٣٩٢.

(٢) انظر أبو بكر محمد الكلاباذي: التعرف لمذاهب أهل التصوف ص٧٤.

(٣) (ابن فورك) محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري الأصبهاني، أبو بكر: واعظ عالم بالأصول والكلام، من فقهاء الشافعية.سمع بالبصرة وبغداد.وحدث بنيسابور، وبنى فيها مدرسة. وتوفي على مقربة منها سنة (٤٠٦هـ/١٠١٥م). له كتب كثيرة [الأعلام للزركلي].

(٤) القشيري: الرسالة القشيرية، ص٣٥٤.

بعض الزنادقة كطعن أجسادهم بالأسلحة الحادة، وأكل النار والزجاج مع كونهم مجاهرين بالمعصية، منحرفين عن دين الله تعالى، فهو من قبيل الاستدراج، وأن الولي لا يستأنس بالكرامة، ولا يتفاخر بها على غيره)[1].

- (وقال علي الخواص رحمه الله: الكمل يخافون من وقع الكرمات على أيديهم، ويزدادون بها وجلاً لاحتمال أن تكون استدراجاً)[2].

- قال العلامة فخر الدين الرازي: (إن صاحب الكرامة لا يستأنس بتلك الكرامة بل عند ظهور الكرامة يصير خوفه من الله تعالى أشد وحذره من قهر الله أقوى فإنه يخاف أن يكون ذلك من باب الاستدراج، وأما صاحب الاستدراج فإنه يستأنس بذلك الذي يظهر عليه ويظن أنه إنما وجد تلك الكرامة لأنه كان مستحقاً لها وحينئذ يستحقر غيره ويتكبر عليه ويحصل له أمن من مكر الله وعقابه ولا يخاف سوء العاقبة فإذا ظهر شيء من هذه الأحوال على صاحب الكرامة دل ذلك على أنها كانت استدراجاً لا كرامة)[3].

- وقد أجمع أهل الله وأولياؤه أن أجل الكرامات التقيد بأوامر القرآن الكريم والسنة المطهرة مع الابتعاد عن النواهي والمحرمات، فقد قال أبو القاسم القشيري: (واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء دوام التوفيق للطاعات والعصمة عن النواهي والمخالفات)[4].

- وفي ذلك يقول الشيخ أبو الحسن الشاذلي رحمه الله: (الكرامة الحقيقية إنما هي حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها، ومرجعها أمران: صحة

---

(١) يوسف خطار محمد: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية ص٤٢٦.

(٢) الشعراني: اليواقيت والجواهر جزء٢، ص١١٣.

(٣) الرازي في تفسيره، تفسير سورة الكهف الآية ٩-١٢.

(٤) القشيري: الرسالة القشيرية، ص٣٥٦.

الإيمان بالله ﷻ، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهراً وباطناً، فالواجب على العبد ألا يحرص إلا عليها، ولا تكون له همة إلا في الوصول إليها، وأما الكرامة بمعنى خرق العادة، فلا عبرة بها عند المحققين إذ قد يرزق بها من لم تكتمل استقامته، وقد يرزق به المستدرجون)[1].

- وقال: (إنما هي كرامتان جامعتان محيطتان، كرامة الإيمان بمزيد الإيقان وشهود العيان، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ومجانبة الدعاوي والمخادعة، فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مغتر كذاب ليس ذا حظ في العلم والعمل بالصواب)[2].

- وقال الشيخ أحمد الحارون رحمه الله تعالى: (كرامتان ليس بعدهما كرامة: الإيمان والاستقامة، فإذا وجدتم رجلاً مستقيماً فلا تطلبوا منه كرامة)[3].

- هذا وإن صاحب الكرامة عند الأولياء والصالحين ليس مفضلاً على غيره.

- قال الإمام الشافعي رحمه الله تعالى: (لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل من ليس له كرامة منهم، بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم أفضل من بعض من له كرامة، لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها ودليل على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته، وإنما الأفضلية تكون بقوة اليقين وكمال المعرفة بالله تعالى)[4].

---

(١) حامد صقر: نور التحقيق، ص١٢٨.

(٢) المرجع السابق.

(٣) أبو محمد الخلال: كرامات الأولياء، ص١٥.

(٤) اليافعي: نشر المحاسن الغالية، ص١١٩.

- كذلك فإن الأولياء يعدون عدم ظهور الكرامة ليس دليلاً على عدم الولاية، قال الإمام القشيري: (وليس كل كرامة لوليّ يجب أن تكون تلك بعينها لجميع الأولياء. بل لو لم يكن للولي كرامة ظاهرة عليه في الدنيا لم يقدح عدمها في كونه ولياً)[1].

- وفي ذلك يقول الشيخ زكريا الأنصاري[2] في شرحه لرسالة القشيري عند هذا الكلام: (بل قد يكون أفضل ممن ظهر له كرامات لأن الأفضلية إنما هي بزيادة اليقين لا بظهور الكرامة)[3].

- ويجب أن نعلم أن الكرامة قد تشبه السحر، فما الفرق بين الكرامة والسحر، أجاب على ذلك الشيخ محمد أمين الكردي، وقال: (الفرق بينها وبين السحر كونه يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة ومتابعة، وأما الكرامة فلا تقع إلا على يد من بالغ في الاتباع للشريعة، حتى بلغ الغاية)[4].

- ثم قال: (واعلم أن الكرامة عند أكابر الرجال معدودة من جملة رعونات النفس إلا إن كانت لنصرة دين أو جلب مصلحة، لأن الله تعالى هو الفاعل عندهم لا هم فالكون في مجاري أقداره أليق بالأدب)[5].

---

(١) القشيري: الرسالة القشيرية، ص٣٥٥.

(٢) (زكريا الأنصاري) أبو يحيى: زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري السنيكي المصري الشافعي، شيخ الاسلام. قاض مفسر، من حفاظ الحديث. ولد في سنيكة (بشرقية مصر) وتعلم في القاهرة وتوفي سنة (٩٢٦ هـ/١٥٢٠م) له تصانيف كثيرة. [الأعلام للزركلي]

(٣) القشيري: الرسالة القشيرية، ص٣٥٥.

(٤) محمد أمين الكردي: تنوير القلوب: ص٤٤٥.

(٥) المصدر نفسه ص٤٤٦.

- (ولقد ثبتت كرامات الأولياء في كتاب الله تعالى، وفي سنة رسوله ﷺ وفي آثار الصحابة رضوان الله عليهم ومن بعدهم إلى يومنا هذا، وأقرها جمهور العلماء من أهل السنة والجماعة من الفقهاء والمحدثين والأصوليين ومشايخ الصوفية، وتصانيفهم ناطقة بذلك، كما ثبتت كذلك بالمشاهدة العيانية في مختلف العصور الإسلامية)[1].

- أولاً: أما الدليل من القرآن الكريم:

فقد ذكر القرآن الكريم نماذج من الكرامات التي ظهرت على الأولياء نذكر من ذلك:

١- قوله سبحانه وتعالى عن مريم عليها السلام، ولم تكن نبياً ولا رسولاً: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقًا ۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٍ ﴾[2].

- وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴿٢٥﴾﴾[3]، وكان جذع النخلة يابساً، فاخضر وتساقط منه الرطب الجني، وكان هذا في غير أوان الرطب.

٢- قصة أصحاب الكهف وبقاؤهم في النوم سالمين عن الآفات مدة ثلاثمائة وتسع سنين، والأعاجيب التي ظهرت عليهم والكلب الذي معهم.

---

(١) عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف، ص٣٦١.

(٢) سورة آل عمران: ٣٧.

(٣) سورة مريم: ٢٥.

٣- قصة الخضر مع موسى عليهما السلام، وما ظهر على يديه وهي أمور مناقضة للعادة، ولم يكن نبياً، وإنما كان ولياً.

٤- قصة آصف بن برخيا مع سليمان عليه السلام على ما قاله جمهور المفسرين في قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[1] فجاء بعرش بلقيس من اليمن إلى بلقيس قبل ارتداد الطرف.

ثانياً- الدليل من السنة الشريفة:

- قصة جُرَيج العابد: فعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إِلاَّ ثَلاَثَةٌ عيسَى، وَكَانَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ جُرَيْجٌ، كَانَ يُصَلِّي، فَجَاءَتْهُ أُمُّهُ فَدَعَتْهُ، فَقَالَ: أُجِيبُهَا أَوْ أُصَلِّي. فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لاَ تُمِتْهُ حَتَّى تُرِيَهُ وُجُوهَ الْمُومِسَاتِ[2]. وَكَانَ جُرَيْجٌ فِي صَوْمَعَتِه، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ امْرَأَةٌ وَكَلَّمَتْهُ فَأَبَى، فَأَتَتْ رَاعِيًا، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فَوَلَدَتْ غُلاَمًا، فَقَالَتْ: مِنْ جُرَيْجٍ . فَأَتَوْهُ فَكَسَرُوا صَوْمَعَتَهُ، وَأَنْزَلُوهُ وَسَبُّوهُ، فَتَوَضَّأَ وَصَلَّى ثُمَّ أَتَى الْغُلاَمَ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ يَا غُلاَمُ، قَالَ: الرَّاعِي. قَالُوا نَبْنِي صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ لاَ إِلاَّ مِنْ طِينٍ...»[3] .

٢- قصة الثلاثة الذين دخلوا الغار، وانفراج الصخرة عنهم بعد أن سدت عليهم الباب: فعن عَبْد اللَّه بْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْط ممَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا: إِنَّهُ

---

(١) سورة النمل: ٤٠.

(٢) المومسات: الزانيات.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه.

لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمُ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ[1] قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ. فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا».

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ

(١) أغبق: أسقى. والغبوق: اللبن الذي يشرب في المساء.

الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[1] .

٣- قصة البقرة التي كلمت صاحبها: فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَى بَقَرَةٍ الْتَفَتَتْ إِلَيْهِ. فَقَالَتْ لَمْ أُخْلَقْ لِهَذَا، خُلِقْتُ لِلْحِرَاثَةِ، قَالَ: آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ، وَأَخَذَ الذِّئْبُ شَاةً فَتَبِعَهَا الرَّاعِي، فَقَالَ الذِّئْبُ مَنْ لَهَا يَوْمَ السَّبُعِ، يَوْمَ لاَ رَاعِيَ لَهَا غَيْرِي. قَالَ: آمَنْتُ بِهِ أَنَا وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»[2] .

- أما الصحابة الكرام فقد نقل عنهم من الكرامات الشيء الكثير أذكر منها:

١- قصة أبي بكر ﷺ مع أضيافه في تكثير الطعام، حتى صار بعد الأكل منه أكثر مما كان: فقد كان عند أبي بكر أضياف، فقدم لهم الطعام، فلما أكلوا منه ربا من أسفله حتى إذا شبعوا قال لامرأته: يا أخت بني فراس ما هذا؟ قالت: وقرة عيني لهي ((تعني القصعة)) أكثر منها قبل أن يأكلوا... إلى آخر القصة[3].

٢- قصة عمر ﷺ وهو على منبر المدينة ينادي بقائده يا سارية الجبل: فعن عمرو بن الحارث قال: بينما عمر يخطب يوم الجمعة إذ ترك الخطبة فقال: (يا سارية الجبل - مرتين أو ثلاثاً)، ثم أقبل على خطبته، فقال بعض الحاضرين: لقد جن، إنه لمجنون فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف وكان يطمئن إليه فقال: إنك لتجعل لهم على نفسك مقالاً، بينا أنت تخطب إذ أنت

---

(١) أخرجه البخاري عن صحيحه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه عن عبد الرحمن بن أبي بكر ﷺ.

تصيح: (يا سارية الجبل) أي شيء هذا قال: (والله إني ما ملكت ذلك رأيتهم يقاتلون عند جبل يؤتون من بين أيديهم ومن خلفهم فلم أملك أن قلت: يا سارية الجبل ليلحقوا بالجبل). فلبثوا إلى أن جاء رسول سارية بكتابه أن القوم لقونا يوم الجمعة فقاتلناهم حتى إذا حضرت الجمعة سمعنا مناديا ينادى: يا سارية الجبل مرتين، فلحقنا بالجبل، فلم نزل قاهرين لعدونا إلى أن هزمهم الله وقتلهم[1].

٣- قصة عثمان ﷺ مع الرجل الذي دخل عليه، فاخبره عما أحدث في طريقه من نظره إلى المرأة الأجنبية: ذكر التاج السبكي رحمه الله تعالى في الطبقات وغيره: (أنه دخل على عثمان ﷺ رجلٌ، كان قد لقي امرأة في الطريق، فتأملها، فقال له عثمان ﷺ: يدخل أحدكم، وفي عينيه أثر الزنى؟ فقال الرجل: أوحيٌ بعد رسول الله ﷺ؟ قال: لا، ولكنها فراسة المؤمن)[2].

٤- (قصة عبَّاد بن بشر وأسيد بن حضير رضي الله عنهما الذين أضاءت لهم العصا عندما خرجا من عند رسول الله ﷺ في ليلة مظلمة: عن أنس أن أسيد بن حضير الأنصاري ورجلاً آخر من الأنصار ،تحدثا عند النبي ﷺ في حاجة لهما، حتى ذهب من الليل ساعة وكانت ليلة شديدة الظلمة، ثم خرجا من عند رسول الله ﷺ وبيد كل واحد منهما عصية، فأضاءت عصا أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءت للآخر عصاه فمشى كل واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله)[3].

---

(١) أخرجه أبو نعيم في الدلائل في جامع الأحاديث.

(٢) النبهاني: حجة الله على العالمين.

(٣) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة.

٥- قصة خبيب ﷺ في قطف العنب الذي وجد في يده يأكله في غير أوانه فقد روى أبو هريرة ﷺ: أن خبيباً كان أسيراً عند بني الحارث في مكة -في قصة طويلة- وفيها أن بنت الحارث كانت تقول: (ما رأيت أسيراً قط خيراً من خبيب، لقد رأيته يأكل من قطف عنب، وما بمكة يؤمئذ ثمرة، وإنه لموثق في الحديد، وما كان إلا رزقٌ رزقه الله)[١].

٦- (قصة أم أيمن رضي الله عنها، وكيف عطشت يوم هجرتها فنـــزل عليها دلو من السماء فشربت: فعن عثمان بن القاسم قال خرجت أم أيمن مهاجرة إلى رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وهي ماشية ليس معها زاد وهي صائمة في يوم شديد الحر فأصابها عطش شديد حتى كادت أن تموت من شدة العطش قال وهي بالروحاء[٢] أو قريباً منها فلما غابت الشمس قالت: إذ أنا بحفيف شيء فوق رأسي فرفعت رأسي فإذا أنا بدلو من السماء مدلى برشاء[٣] أبيض قالت فدنا مني حتى إذا كان حيث أستمكن منه تناولته فشربت منه حتى رويت قالت فلقد كنت بعد ذلك اليوم الحار أطوف في الشمس كي أعطش وما عطشت بعدها)[٤].

٧- قصة عبور العلاء بن الحضرمي ﷺ البحر على فرسه ونبع الماء بدعائه: فكان أبو هريرة ﷺ يقول: (رأيت من العلاء ثلاثة أشياء لا أزال أحبه أبدا، رأيته قطع البحر على فرسه يوم دارين وقدم من المدينة يريد

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) الروحاء: قرية على بعد ليلتين من المدينة، بينهما أحد وأربعون ميلاً.

(٣) الرشاء: الحبل أو حبل الدلو.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية.

البحرين، فلما كان بالدهناء[1] نفد ماؤهم فدعا الله فنبع لهم من تحت رملة فارتووا وارتحلوا، وأنسي رجل منهم بعض متاعه فرجع فأخذه ولم يجد الماء، وخرجت معه من البحرين إلى صف البصرة فلما كنا بلياس[2] مات ونحن على غير ماء فأبدى الله لنا سحابة فمطرنا فغسلناه وحفرنا له بسيوفنا ولم نلحد له ودفناه ومضينا، فقال رجل من أصحاب رسول الله، ﷺ: دفناه ولم نلحد له فرجعنا لنلحد له فلم نجد موضع قبره)[3].

٨- قصة خالد بن الوليد ﷺ في شربه السم: (عن أبي السفر[4] قال نزل خالد بن الوليد الحيرة على أمر بني المرازبة فقالوا له احذر السم لا يسقيكه الأعاجم فقال: ائتوني به فأتي به فأخذه بيده ثم اقتحمه وقال: بسم الله فلم يضره شيئاً)[5].

٩- قصة القصعة التي أكل منها سلمان الفارسي وأبو الدرداء رضي الله عنهما وسماعهما التسبيح: (بينما أبو الدرداء وسلمان يأكلان من صفحة إذا سبحت بما فيها)[6].

١٠- قصة سفينة ﷺ مولى رسول الله ﷺ مع الأسد فعن محمد بن المنكدر، أن سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: «ركبت البحر فانكسرت سفينتي

---

(١) الدهناء: من ديار بني تميم في الجانب الشرقي والشمالي من نجد.

(٢) بلياس من الصعاب، والصعاب اسم جبل بين اليمامة والبحرين وقيل: إنها رمال بين البصرة واليمامة.

(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى.

(٤) أبو السفر: سعيد بن يحمد، روى عن ابن عباس والبراء وعن سعيد بن جبير [الإكمال لابن ماكولا].

(٥) أخرجه أبو يعلى في مسنده، والبيهقي في دلائل النبوة.

(٦) أخرجه البيهقي في دلائل النبوة.

التي كنت فيها فركبت لوحا من ألواحها فطرحني اللوح في أجمة[1] فيها الأسد فأقبل إلي يريدني فقلت: يا أبا الحارث، أنا مولى رسول الله ﷺ فطأطأ رأسه، وأقبل إلي فدفعني بمنكبه حتى أخرجني من الأجمة، ووضعني على الطريق وهمهم فظننت أنه يودعني فكان ذلك آخر عهدي به»[2].

- (هذا غيض من فيض، وقليل من كثير مما ورد من كرامات عن صحابة رسول الله ﷺ، ثم توالى ورود الكرامات الكثيرة على أيدي الأولياء في عهد التابعين وتابعي التابعين إلى يومنا هذا، مما يصعب عده، ويضيق حصره، وقد ألف العلماء في ذلك مجلدات كثيرة، وصنف أكابر الأئمة منهم مصنفات في إثبات الكرامة للأولياء)[3].

(١) الأجمة: الغابة.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه.

(٣) عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف ص٣٧٠.

ثالثاً- التوسل

- يخطئ كثيرٌ من الناس في معنى التوجه والتوسل، ويخلطون بينهما.

- **فالتوجه** لا يكون إلا لله، ولا يجوز لغيره، وهو الإقرار بالعقل والقلب بوحدانية الله سبحانه وتعالى، وبأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، وأنه القادر على كل شيء والمقدر لكل شيء وحاجات الخلق بيده ولا معطي إلا هو ولا مستجيب للدعاء إلا هو، وهو سبحانه الذي يقول:

﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾ ﴾[1].

- فتوجه العبد دائماً في صلاته ودعائه وحاجاته ورغباته وآماله لله سبحانه وتعالى لا إلى غيره، واعتقاد هذا العبد أن الله ﷻ وحده الذي يحقق ما يرغب فيه العبد ويحب لأنه مالك الملك، والواحد الأحد، الفرد الصمد الذي يلجأ إليه لا إلى سواه.

- ويشير إلى هذا حديث النبي ﷺ حيث يقول: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ. أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ وَالشَّرُّ

---

(١) سورة البقرة: ١٨٦.

لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»[1].

- **والتوسل**: هو أن نلتجئ إلى الله ﷻ متوسلين إليه بالأنبياء والصالحين أي بأعمالهم الصالحة، ومكانتهم عند ربهم، أو توسل المسلم بأعماله الصالحة فهذا جائز، ودليله من القرآن والسنة، وإجماع الأمة.

- فالتوسل هو طريقة من طرق التضرع إلى الله ﷻ، وأحد أبواب دعائه والتوجه إليه سبحانه وتعالى، فالوسيلة هي كل ما جعله الله ﷻ سبباً في التقرب إليه، وباباً لقضاء الحوائج منه، قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[2].

- والمسلم عندما يتوسل بالنبي ﷺ أو بالرجل الصالح، إنما يتوسل به لما يعلم من كرامته ومنـــزلته وجاهه عند الله ﷻ فهو من الذين قال الله فيهم: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾[3].

- ونعني بالجاه المنـــزلة التي يختص الله ﷻ بها من يشاء من عباده، قال تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ﴾[4].

- كما أنه يجتبي سبحانه من يشاء، قال تعالى:

﴿ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾[5].

---

(١) أخرجه مسلم عن علي بن أبي طالب ﷺ.

(٢) سورة المائدة: ٣٥.

(٣) سورة المائدة: ٥٤.

(٤) سورة آل عمران: ٧٤.

(٥) سورة الشورى: ١٣.

- فالإنسان عندما يتوسل إلى الله تعالى بجاه نبي أو ولي فإن ذلك يعني أنه توسل إلى الله تعالى بما منَّ الله تعالى به على هذا العبد من منـــزلة واجتباء وما خصه الله من رحمته، وهذا مجمع على جوازه عند أهل الحقيقة.

- أما قول النبي ﷺ: «... إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ...»[1].

- فإن هذا الحديث ليس المقصود به النهي عن السؤال والاستعانة بما سوى الله، كما يفيد ظاهر لفظه، وإنما المقصود به النهي عن الغفلة عن كون ما جرى من الخير على يد الأسباب أنه من الله، والتنبيه إلى أن ما كان من نعمة على يد المخلوقات، فهو من الله وبالله، لأنه لابد من تحقيق ما يريده الإنسان من الاستعانة بالأسباب البشرية مع قصده الاستعانة بالله مسبب الأسباب، والغرض الذي يرمي إليه الحديث ألا تحجب الأسباب عن رؤية المسبب ﷻ.

أولاً- الأدلة على جواز التوسل من القرآن الكريم:

- في القرآن الكريم آيات يستفاد منها جواز التوسل إلى الله ﷻ أذكر منها ما يلي:

١- قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾[2].

لفظ الوسيلة في الآية عامٌ، فهو شامل للتوسل بالذوات الفاضلة من أنبياء وصالحين في حياتهم وبعد موتهم وبصالح الأعمال.

---

(١) أخرجه الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) سورة المائدة: ٣٥.

٢- قوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ﴾[1].

- فقد قيل في تفسير هذه الآية: (الوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى، وقوله أيهم أقرب معناه ينظرون أيهم أقرب إلى الله تعالى، فيتوسلون به.

وقال الزجاج: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ﴾ جنته ﴿وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ أي يطلب منه الحذر)[2].

٣- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾[3].

- فالآية دليل على جواز التوسل والاستشفاع بالنبي ﷺ في سائر الأحوال، لأنه في قبره الشريف حيٌّ تعرض عليه أعمال أمته، فيدعو لهم ويستغفر.

- جاء في تفسير هذه الآية ما يلي: (وقد ذكر جماعة منهم: الشيخ أبو نصر بن الصباغ في كتابه "الشامل" الحكاية المشهورة عن العُتْبي، قال: كنت جالساً عند قبر النبي ﷺ، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ وقد جئتك مستغفراً لذنبي مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

---

(١) سورة الإسراء: ٥٧.

(٢) تفسير البغوي.

(٣) سورة النساء: ٦٤.

يا خيرَ من دُفنَت بالقاع أعظُمُه فطاب منْ طيبهنّ القاعُ والأكَمُ
نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أنت ساكنُه فيه العفافُ وفيه الجودُ والكرمُ

ثم انصرف الأعرابي فغلبتني عيني، فرأيت النبي ﷺ في النوم فقال: يا عُتْبي، الحقْ الأعرابيّ فبشره أن الله قد غفر له) [1].

وذكر ذلك الإمام النووي في كتابه الإيضاح والمجموع وزاد البيتين التاليين:

أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته على الصراط إذا ما زلت القدم
وصاحباك فلا أنساهما أبدا مني السلام عليكم ما جرى القلم[2]

ثانياً- الأدلة من الأحاديث النبوية الشريفة وآثار الصحابة:

وهي أيضاً كثيرة ومتعددة ذكرت في عدة كتب اهتمّت بهذا الموضوع أذكر منها:

١- حديث عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ فقد روى: أَنَّ رَجُلاً ضَرِيراً أَتَى النَّبِيَ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي. فَقَالَ: «إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَلِكَ فَهُوَ أَفْضَلُ لآخِرَتِكَ وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ». قَالَ لاَ بَلِ ادْعُ اللَّهَ لِي. فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَأَنْ يُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ

---

(١) تفسير ابن كثير.

(٢) النووي: الإيضاح والمجموع، القصة تم ذكرها عند ابن قدامة في كتابه المغني جزء٧ ص٤٢٠، وأبو الفرج بن قدامة في كتابه الشرح الكبير جزء٣ ص ٤٩٤، والشيخ منصور البهوتي في كتابه المعروف بكشاف القناع، وهو من أشهر كتب المذهب الحنبلي جزء٥ ص٣٠، ولم يذكر واحدٌ منهم أن هذا الفعل إشراك بالله فيكون إقرار منهم بالتوسل.

إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتُقْضَى وَتُشَفِّعُنِي فِيهِ وَتُشَفِّعُهُ فِيَّ». قَالَ: فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرَأَ[1].

فقوله إني أسألك وأتوجه إليك توسلٌ ظاهر بذاته وجاهه ﷺ وقد اعتمده العلماء المحدثون والحفاظ في كتب السنة في صلاة الحاجة حاثين الأمة عليها.

٢- حديث أبي سعيد الخدري ﷺ حيث روى عن رسول الله ﷺ أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلاَةِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا[2] وَلاَ بَطَرًا[3] وَلاَ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ»[4].

(وهذا حثّ ظاهر من النبي ﷺ للصحابة على التوسل إلى الله تعالى بحقّ سائليه عليه، والسائلون: جمع يشمل الأحياء والأموات ومن كان حاضراً ومن غائباً، وفي الحديث دليل التوسل بالعمل الصالح وهو ممشى الرجل إلى المسجد لوجه الله، فالشرع لم يفرق بين التوسل بالذوات الفاضلة وبين التوسل بالعمل الصالح، بل لقائل أن يقول: كيف لا يجوز التوسل بذات النبي ﷺ الذي هو أشرف خلق الله، ويجوز التوسل بصلاة العبد وصيامه وصدقته

---

(١) أخرجه أحمد والنسائي والترمذي وابن ماجه وابن خزيمة والحاكم وقال أبو إسحاق هذا حديث صحيح.

(٢) الأشر: الطغيان بالنعمة.

(٣) البطر: التكبر على الحق فلا يقبل.

(٤) أخرجه ابن ماجه وأحمد والطبراني والبيهقي وغيرهم.

وكلا الأمرين خلق الله)[1].

٣- حديث سيدنا علي ﷺ أن النبي ﷺ لما دفن فاطمة بنت أسد أم سيدنا علي رضي الله عنهما قال: «اللهم بحقي وحق الأنبياء من قبلي اغفر لأمي بعد أمي»[2].

٤- عَنْ أَنَسِ بن مالك ﷺ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّاب ﷺ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ: (اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا. قَالَ: فَيُسْقَوْنَ)[3].

٥- عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال، قال رسول الله ﷺ: «انْطَلَقَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوُا الْمَبِيتَ إِلَى غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْغَارَ فَقَالُوا إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلاَّ أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمُ اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ[4] قَبْلَهُمَا أَهْلاً وَلاَ مَالاً، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلاً أَوْ مَالاً، فَلَبِثْتُ وَالْقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الْفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ،

---

(١) الشيخ يوسف خطار محمد: الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الحلية والهيثمي في مجمع الزوائد.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٤) أغبق: أسقى والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبوح، والغبوق: اللبن الذي يشرب في المساء.

فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الآخَرُ اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّى حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّىَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ لاَ أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ . فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الْوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا وَهْىَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ الْخُرُوجَ مِنْهَا. قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ، غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي. فَقُلْتُ لَهُ كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ وَالرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ لاَ تَسْتَهْزِئْ بِي. فَقُلْتُ: إِنِّي لاَ أَسْتَهْزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ. فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»[1]. وفي هذا الحديث دلالة واضحة على توسل المسلم بأعماله الصالحة لتحقيق ما يحب ويرغب فيه ويأمل أو في دفع بلاء أو مصيبة، أو قدر وقع عليه.

ثالثاً- أقوال العلماء الكبار من أئمة الفقه والعلوم الأخرى:

كلهم أجمعوا بجواز التوسل وساقوا الأدلة التي ذكرنا بعضها، ومما يؤيد قولنا ويثبت جواز التوسل ما ورد عن الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى عندما سئل هل يجوز التوسل بالنبي ﷺ فأجاب: (الحمد لله التوسل بالإيمان به ومحبته

(١) أخرجه البخاري عن صحيحه.

وطاعته والصلاة والسلام عليه وبدعائه وشفاعته ونحو ذلك مما هو من أفعاله وأفعال العباد المأمور بها في حقه مشروع باتفاق المسلمين)[1].

- وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته الموجهة لأهل القصيم مستنكراً بشدة على من نسب إليه تكفير المتوسل بالصالحين:

(إن سليمان بن سحيم افترى عليَّ أموراً لم أقلها، ولم يأتِ أكثرها على بالي، فمنها: أني أكفر من توسل بالصالحين، وأني أكفر البوصيري لقوله: يا أكرم الخلق، وأني أحرق دلائل الخيرات، وجوابي عن هذه المسائل أن أقول: ﴿سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾﴾[2])[3].

- وسئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن قولهم في الاستسقاء: لا بأس بالتوسل بالصالحين، فأجاب بكلام كثير منه: (... ولكن يقول في دعائه أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين أو يقصد قبراً معروفاً أو غيره يدعو عنده)[4]. وهذا يدل على جواز التوسل عنده.

- كذلك فإن الشيخ محمد بن ناصر الألباني -وهو كبير شيوخ المذهب الوهابي في سورية- يذكر: (أنه يجوز التوسل بأسماء الله وصفاته، وبعمل

---

(١) ابن تيمية: الفتاوى الكبرى، جزء ١ ص٢٤٠.

(٢) سورة النور: ١٦.

(٣) الرسالة الأولى والحادية عشرة من رسائل محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس ص١٢، وص٦٤.

(٤) فتاوى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجوعة المؤلفات القسم الثالث ص٦٨ التي نشرتها جامعة الإمام محمد بن مسعود الإسلامية في أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب. (والغريب من الذين يُقرّون أسبوع محمد بن عبد الوهاب وينكرون مولد النبي ﷺ محمد بن عبد الله السنوي).

الداعي، ودعاء رجل صالح آخر)[1].

- وقال بعد أن ساق أدلة متعددة: (فمما سبق تعلم أن التوسل هو مشروع دلت عليه نصوص الكتاب والسنة وجرى عليه عمل السلف الصالح، وأجمع عليه المسلمون وهو:

١- التوسل باسم من أسماء الله تبارك وتعالى أو صفة من صفاته.

٢- التوسل بعمل صالح قام به الداعي.

٣- التوسل بدعاء رجل صالح.

٤- ثم ينقل أقوال الأئمة المعتمدين في مسألة التوسل فيقول:

فأجاز الإمام أحمد التوسل بالرسول ﷺ وحده، وأجاز غيره كالإمام الشوكاني التوسل به وبغيره من الأنبياء والصالحين)[2].

وأخيراً: نجد أن للتوسل أنواعاً عدة نذكرها باختصار[3]:

١- التوسل باسم من أسماء الله سبحانه وتعالى:

- قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾[4].

- ويستدل على التوسل بأسماء الله تعالى بما روته عَائِشَة رضي الله عنها قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِاسْمِكَ الطَّاهِرِ

---

(١) نقله عنه عيد العباسي في كتابه (التوسل أنواعه وأحكامه) ذلك الذي قال عنه مؤلفه إنه مقالات كتبها وألقاها الشيخ ناصر الألباني.

(٢) محمد ناصر الألباني: شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٦.

(٣) انظر: مصطفى الحمصي: الثقافة النبوية ص٢٠٠.

(٤) سورة الأعراف: ١٨٠.

الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الأَحَبِّ إِلَيْكَ الَّذِي إِذَا دُعِيتَ بِهِ أَجَبْتَ وَإِذَا سُئِلْتَ بِهِ أَعْطَيْتَ وَإِذَا اسْتُرْحِمْتَ بِهِ رَحِمْتَ وَإِذَا اسْتُفْرِجْتَ بِهِ فَرَّجْتَ». قَالَتْ وَقَالَ ذَاتَ يَوْمٍ «يَا عَائِشَةُ هَلْ عَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ قَدْ دَلَّنِي عَلَى الاسْمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ». قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَعَلِّمْنِيهِ. قَالَ: «إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لَكِ يَا عَائِشَةُ». قَالَتْ فَتَنَحَّيْتُ وَجَلَسْتُ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ ثُمَّ قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِيهِ. قَالَ: «إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لَكِ يَا عَائِشَةُ أَنْ أُعَلِّمَكِ إِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لَكِ أَنْ تَسْأَلِي بِهِ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا». قَالَتْ: فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ ثُمَّ صَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللَّهَ وَأَدْعُوكَ الرَّحْمَنَ وَأَدْعُوكَ الْبَرَّ الرَّحِيمَ وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الْحُسْنَى كُلِّهَا مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي.

قَالَتْ فَاسْتَضْحَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «إِنَّهُ لَفِي الأَسْمَاءِ الَّتِي دَعَوْتِ بِهَا»[1].

وبقوله ﷺ: «مَا أَصَابَ أَحَداً قَطُّ هَمٌّ وَلاَ حَزَنٌ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ وَابْنُ أَمَتِكَ نَاصِيَتِي بِيَدِكَ مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي وَنُورَ صَدْرِي وَجَلاَءَ حُزْنِي وَذَهَابَ هَمِّي. إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَجاً». قَالَ فَقِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلاَ نَتَعَلَّمُهَا فَقَالَ: «بَلَى يَنْبَغِي لِمَنْ سَمِعَهَا أَنْ يَتَعَلَّمَهَا»[2].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه.

(٢) أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم في مستدركه عن عبد الله بن مسعود ﷺ.

٢- التوسل بجاه النبي ﷺ أو حرمته:

كأن يقول: (أتوسل إليك بجاه نبيك عندك أو حرمته). أي: اجعل قدر نبيك العظيم ومنـــزلته العالية عندك سبباً في قضاء حاجتي، ولاشك أن قدر سيدنا محمد ﷺ وجاهه عند الله ﷻ عظيم، فهو خير الخلق وأحبهم إلى الله ﷻ، وبالطبع فليس المسؤول هنا هو النبي ﷺ، وإنما المسؤول هو الله ﷻ، والرسول ﷺ هو متوسل بقدره وجاهه عند الله ﷻ.

٣- التوسل بحق النبي ﷺ:

كأن يقول: (اللهم إني اسألك بحق نبيك المصطفى عندك) وهو راجع إلى معنى الجاه والحرمة السابقة، ويستدل على ذلك بقول النبي ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الصَّلاَةِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِحَقِّ السَّائِلِينَ عَلَيْكَ وَأَسْأَلُكَ بِحَقِّ مَمْشَايَ هَذَا فَإِنِّي لَمْ أَخْرُجْ أَشَرًا[1] وَلاَ بَطَرًا[2] وَلاَ رِيَاءً وَلاَ سُمْعَةً وَخَرَجْتُ اتِّقَاءَ سُخْطِكَ وَابْتِغَاءَ مَرْضَاتِكَ فَأَسْأَلُكَ أَنْ تُعِيذَنِي مِنَ النَّارِ وَأَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي إِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، أَقْبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِوَجْهِهِ وَاسْتَغْفَرَ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ»[3].

٤-التوسل بذات النبي ﷺ:

وذلك على معنى الاستشفاع به إلى الله تعالى، لبلوغ المأرب كأن يقول: (اللهم إني أتوسل إليك بنبيك محمد أن تقضي حاجتي) والشاهد على ذلك حديث الرجل الضرير الذي مر معنا سابقاً.

---

(١) الأشر: الطغيان بالنعمة.

(٢) البطر: التكبر على الحق فلا يقبل.

(٣) أخرجه ابن ماجه وأحمد والطبراني والبيهقي وغيرهم عن أبي سعدي الخدري ﷺ، وهو حديث حسن.

٥- التوسل بالأعمال الصالحة:

ودليله حديث أصحاب الغار الثلاثة الذين توسلوا بصالح أعمالهم إلى الله تعالى، وقد مر معنا سابقاً.

٦- التوسل بجاه الصالحين:

ودليله ما روي عن سيدنا عمر بن الخطاب ﷺ عندما توسل بعم النبي ﷺ العباس عندما أراد الاستسقاء.